



مقدمة:

ما أجمل هذه الانتصارات التي تمر بالأمة بين الفينة والأخرى، والتي يرسلها الله بشرى لعباده، فترفع المظالم النازلة عن الأئمة الكسيرة، وتطفئ الآلام المبرحة التي تحُل بالمضطهدين والمستضعفين، وترد على الأمة روحها البائسة، وتُنفث فيها روح العزة والإباء الذي يلزمها لمواصلة طريقها إلى هدفها المنشود.

سبب نزول السورة:

عن أنس قال: لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسخنا فنحن بين الحزن والكآبة أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَقْرَرَ لَكَ اللَّهُ) (الفتح: 2) الآية إلى قوله: (مُسْتَقِيمًا) (النساء: 68)، أو كما شاء الله، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيَّ آيَةً هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا) (مستخرج أبي عوانة / 6809)

عناصر الخطبة :

1- النصر والفتح من عند الله (سلوى للمؤمنين، وعقوبة للمجرمين).

2- من أبرز أسباب النصر:

- الأسوة الحسنة والقائد الفذ.

- وحدة الصف واتحاد الكلمة.

- العبادة والتضرع.

3- الرحمة بالمؤمنين

4- في دروب النصر.. لا التفات للمثبطين.

1- النصر والفتح من عند الله (سلوى للمؤمنين، وعقوبة للمجرمين):

افتُتحت هذه السورة بقوله تعالى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) (الفتح: 1) ، فالفضل لله سبحانه وتعالى في كل نصر وفتح ، وحين تحرُّكُ الحَدَقُ وتلتَّحُ الصَّفَوْفُ (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (الأنفال: 17)

وفي القرآن الكريم كثير من الآيات الكريمة تضييف النصر إلى الله تعالى، فيقول ربنا عز وجل: (إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ

﴿مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: 126) ﴿لَقَدْ نَصَرْكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ (التوبه: 25) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

وهذه إضافة - إضافة النصر إلى الله - تعني أن النصر يحتاج إلى مدد إلهي ، وليس بعدد ولا قوة ولا فصيل ولا سلاح، ويترجم هذا المعنى الصديق أبو بكر رضي الله عنه حين قال : إننا لا نقاتلهم بعدد ولا عدة " ، فللهم الحمد أولاً وأخراً. إن هذه الانتصارات المباركة التي شرف الله بها عباده وأكرمنا بها ، تأتينا بين كل فينة وأخرى منارات على الطريق، وبشارات للمؤمنين، (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ) (الانفال: 10)

واستراحات في درب طويل ألا وهو قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُنَظِّهِ عَلَى الْبَيْنِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا) (الفتح: 28). كما أنها عذاب للمجرمين وخزي لهم في الدنيا والآخرة.. وشفاءً لتصور المؤمنين المكلومين، وذهاب لغيط قلوبهم الصابرة.. التي صابت الجراح والقتل والتشريد والتعذيب على مدى أربع سنوات، (قَاتَلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ يَأْتِيَكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفُ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُدْهِبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (التوبه: 14: 15)

2- من أبرز أسباب النصر:

أ- الأسوة الحسنة والقائد الفذ:

قال تعالى: (الْتُّؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُؤْقَرُوهُ وَتُسْبِحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الفتح: 9) وقال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف: 108) وقال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: 21)

قال ابن كثير : (هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أقواله وأفعاله وأحواله، ولها أمر الناس بالتأسي بالنبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه - عز وجل -) (تفسير القرآن العظيم لابن كثير).

إذا نحن أدلّجنا وأنت إمامنا *** كفى بالمطايَا طِيبٌ ذِكْرَكَ حادِيَا
 وإن نحن أضلّلنا الطريقَ ولم نجدْ *** دليلاً كفاناً نُورٌ وَجْهُكَ هادِيَا (الفوائد لابن القيم الجوزية/41).

هذه الأسوة التي صدحت بالولاء لها حناجرُ الأبطال في كل ساح وعند كل نصر في كل أنحاء سوريا الحبيبة (قائدنا للأبد... سيدنا محمد) - صلى الله عليه وسلم - ففازوا وسادوا ونالوا الأمانى بفضل الله تعالى.

ومن هذه الأسوة التي ينبغي أن يتذمّرها المجاهدون من رسول الله:
ب - توحيد صفوفهم تحت قيادة واحدة: هي مصدر الأمر والنهي والإقدام والإحجام؛ لأن تعدد القيادات وتخالف الوجهات وبالتالي تتشتت الجهود ويحل النزاع ويكون الفشل،

وإليكم هذه الصورة الفذة في وحدة القيادة التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر، التي سجلت نصراً عظيماً سماه الله: (يوم الفرقان)

فقد كان صلى الله عليه وسلم في مقدمة أصحابه وقال لهم: (لَا يُقْتَمَنَ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا ذُونَهُ) 1901 مسلم وأمر صلى الله عليه وسلم جنوده برمي الأعداء إذا اقتربوا منهم؛ لأن الرمي يكون أقرب إلى الإصابة في هذه الحالة (إن دنا القوم منكم فانضحوهم بالنبل).

و نهاهم عن سل السيوف إلى أن تتدخل الصفوف، (وَلَا تسلوا السَّيُوفَ حَتَّى يَغْشُوكُمْ).

كما أمرهم بالاقتصاد في الرمي، فعن أبي أسيد رضي الله عنه، قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدري: (إذا أكثيوكم - يعني كثروكم - فارموهم، واستبقو نبلكم) (البخاري/3984)

ما أعظمه من قائد فد عالم بكتبات الحروب من غير أن يدرس في كلية حربية ولا محاضرات عسكرية، وهذا الذي كان يرمي إليه النبي صلى الله عليه وسلم هو ما يعرف حديثا بكتب النيران إلى اللحظة التي يصبح فيها العدو في المدى المؤثر لهذه الأسلحة، وهذا ما قصده صلى الله عليه وسلم في قوله: « واستبقو نبلكم».

وإذا كان رسول الله قد أمر أصحابه بكتب نيرانهم والمحافظة على ذخيرتهم في حال المعركة والعدو أمامهم فكيف يضيع بعض المجاهدين اليوم كثيرا من ذخيرتهم فرحاً بابتهاجاً بالنصر بعد انتهاء القتال من إطلاق للرصاص في الهواء، ألم تذكروا أيها المجاهدون يوم كنا نبحث عن الرصاص فلا نكاد نجده، ويوم كنا نشتريها بأغلى الأثمان؟ فاتقوا الله في أموال المسلمين.

ج - وحدة الصف واتحاد الكلمة:

عباد الله: إن وحدة الصف واتحاد الكلمة من أعظم أسباب النصر بعد توفيق الله سبحانه وتعالى فلا بد أن يكون المجاهدون على قلب رجل واحد ويداً واحدة على عدوهم كما قال ربنا : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْمَانِهِمْ فَمَنْ تَكَثَّرَ فِي أَنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح: 10).

وقد جاء التأكيد في القرآن الكريم على مراعاة هذا الأصل مرات ومرات، ومن ذلك: قال عز وجل: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَإِذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) (آل عمران: 102) - (103)

وقال: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) (الصف: 4) ولقد حذر الله من التنازع وبين أنه طريق الفشل، فقال: (وَأَطْبِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفَشَّلُوا وَتَنَاهَبَ رِحْكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال: 46) وقال: (وَلَقَدْ صَدَقْتُمُ اللَّهَ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِنْذِنِهِ حَتَّى إِذَا فَشَلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ إِبْتِلِيْكُمْ) (آل عمران: 152) فبسبب تنازعهم واحتلافهم صرفهم الله عن عدوهم ليبتليهم ويبين لهم عقوبة الاختلاف.

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ لَكُمْ ثَلَاثًا: فَيُرِيدُ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرَقُوا. وَيُرِيدُ لَكُمْ قَيْلٌ وَقَالٌ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ) مسلم.

قال النووي حول الحديث: وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «ولا تفرقوا» فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتألف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام» (صحيح مسلم بشرح النووي).

وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ أَمْرَ يَحِيى بْنَ زَكْرِيَا بِخَمْسِ كَلْمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا..... الحديث، وفيه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: وأنا أَمْرُكُمْ بِخَمْسِ اللَّهُ أَمْرَنِي بِهِنْ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالطَّاعَةُ، وَالجَهَادُ، وَالهِجْرَةُ، وَالجَمَاعَةُ؛ فَإِنَّهُ مِنْ فَارِقِ الْجَمَاعَةِ قَيْدٌ شَبَرٌ فَقَدْ خَلَعَ رَبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عَنْقِهِ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ...) (أحمد والترمذى).

قال الطحاوي رحمه الله: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيفاً وعداً» / متن العقيدة الطحاوية. يقول الإمام البغوي: «بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة» / معالم التنزيل.

هذا الذي فهمه أبطال إدلب فأذاقوا بجيش الفتح المبارك زبانية النظام كؤوس الذل والصغر وتحررت إدلب في غضون ثلاثة أيام - بفضل الله تعالى -

وأبطال حوران الذين اجتمعوا جنباً إلى جنب فكان النصر المبين في بصرى.

والبشارات قادمة بإذن الله تعالى من ريف دمشق قريباً بعد تشكيل المجلس العسكري في دمشق وريفها.

بالأمس إدلب وغداً سوريا

وبالأمس بصرى وغداً الشام كلها

فلله دركم يا أسود الوعى وأبطال الميدان.

د - العبادة والتضرع:

قال تعالى عن أصحاب رسول الله: (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي ُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التُّورَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأً فَأَسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح: 29)

وقال تعالى بعد أن اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وبشرهم بأنه قبل بيعهم (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) ذكر بهذه صفاتهم فقال : (الثَّابِتُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ) (التوبه: 112) فهذا حال المجاهدين مع العبادة.

أما التضرع، فقد قال تعالى: (وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا أَفْرُغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) وبعد هذا الدعاء، كانت النتيجة: ﴿فَهَزَّهُمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَائُودُ جَالُوتَ﴾ (البقرة: 251)

كان النصر حليفهم حين دعوا الله تعالى وتوكلوا عليه حق التوكل وفعلوا أسباب النصر وأخذوا بها.

قال - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِضَعْفِهَا بِدُعَوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ) (أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ /2388).

- وهذا رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - القائد العظيم.. هو أَعْظَمُ مَنْ حَقَّ ذَلِكَ وَضَرَبَ الْمَثَلَ الْأَعْلَى، فِي غَزَوَاتِهِ كُلُّهَا يَسْتَغْفِرُ بِرَبِّهِ وَيَبْتَهِلُ إِلَيْهِ وَيَتَضَرَّعُ بَيْنَ يَدِيهِ وَيَمْدُ كَفِيهِ حَتَّى إِنَّهُ لِيُنَكْشَفَ رَدَأَهُ وَيَسْقُطَ وَيَرِي بِيَاضِ إِبْطِيهِ مِنْ كُثْرَةِ مَنَاجَاتِهِ، فَقَدْ بَاتَ فِي غَزَوةِ بَدْرٍ فِي لِيلَتِهَا قَائِمًا يَصْلِي إِلَى جُذُعِ شَجَرَةٍ، وَيَطْبِلُ سَجْدَةً وَيَقُولُ: (يَا حَسْنَةُ يَا قَيْوَمُ) يَكْرِرُ ذَلِكَ - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيُسَأَّلُ اللَّهُ النَّصْرُ. (الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ).

- وَحِينَ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ جَنْدَ قَرِيشَ قَالَ: (اللَّهُمَّ هَذِهِ قَرِيشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخِيَالِهَا وَفَخْرِهَا، تَحَاكُ وَتَكْذِبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ أَحْنِهِمْ الْغَدَاءَ) (السِّيَرَةُ النَّبُوَّيَّةُ لَابْنِ هَشَامَ).

- وَكَذَلِكَ صَحَّابَتِهِ الْكَرَامُ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَةِ وَالرَّضْوَانِ اقْتَدُوا بِهِ فَاسْتَغْاثُوا بِرَبِّهِمْ وَرَفَعُوا أَكْفَهُمْ وَأَلْحَوا عَلَيْهِمْ بَأْنَ يَنْصُرُهُمْ وَيَمْدُهُمْ بِجَنْدِهِ فَقَالَ عَنْهُمْ سَبْحَانَهُ وَاصْفَأَ حَالَهُمْ فِي غَزَوةِ بَدْرٍ: ﴿إِذْ تَسْتَغْفِلُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمْدُكُ بِأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الْأَنْفَالُ: 9).

- ذَكَرَ ابْنُ الجُوَزِيِّ فِي صَفَةِ الصَّفْوَةِ قَالَ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ مَعَ قَتِيبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ فِي جَيْشِ وَكَانَ صَاحِبَ خَرَاسَانَ وَكَانَ التَّرْكُ خَرَجَتْ إِلَيْهِمْ فَبَعَثَ إِلَى الْمَسْجِدِ يَنْظَرُ مِنْ فِيهِ فَقِيلَ لَهُ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ رَافِعًا أَصْبَعَهُ فَقَالَ قَتِيبَةُ أَصْبَعُهُ تَلَكَ أَحَبُّ إِلَيْيَنِي مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفِ شَابٍ طَرِيرٍ). (صَفَةُ الصَّفْوَةِ أَحَبُّ إِلَيِّي مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفِ عَنَانٍ.. وَيَذَكُرُ أَنَّ قَتِيبَةَ قَالَ: أَصْبَعُهُ تَلَكَ أَحَبُّ إِلَيِّي مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفِ شَابٍ طَرِيرٍ). (صَفَةُ الصَّفْوَةِ 2/15

- وَيَذَكُرُ الْإِمَامُ الْذَّهَبِيُّ عَنْ قَتِيبَةِ بْنِ مُسْلِمٍ: تَلَكَ الْأَصْبَعُ أَحَبُّ إِلَيِّي مِنْ مِائَةِ أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ وَشَابٍ طَرِيرٍ) (سِيرُ أَعْلَمِ النَّبَلَاءِ

3- الرحمة بالمؤمنين:

أيها المجاهدون ويا أيها المسلمين: لقد ذكر الله في ختام سورة الفتح أية عظيمة في صفات من رضي عنهم من الصحابة الأخيار الأطهار الإبرار، هذه الصفة وهذه الآية تغيب عن كثير منا اليوم، وهي قوله تبارك اسمه : (مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ) (الفتح 29)

إنه ما إن تنشرح صدورنا وتغدو قلوبنا بتوحد المجاهدين وب تلك الانتصارات التي يجريها الله على أيديهم حتى نسمع بخبر اقتتال بين فصيل وفصيل، وتنازع واختلاف ورمي للتهم فتضيع علينا فرحة النصر ونغرى أعدائنا بنا ونشغل عن مواجهة ألد أعداء الأمة اليوم،

ألا نخشى من الاستبدال عباد الله ؟! ألا نخشى من أن يذهب الله بنا ويأت بقومٍ هم أهل لهذه المرحلة؟! نعيذكم بالله أن تكونوا كذلك

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذْلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (المائدة: 54:56)

إنه متى كان الله وليكم ورسوله والمؤمنون فالغلبة لكم كما أخبر الله (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ).

4- في دروب النصر.. لا التفات للمثبطين:

كان هذا حال المثبطين زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم: يتغذرون بالمال والأهل (شغلتنا أموالنا وأهلوна)، والله يقول لهم: (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخْلَفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أُمُوْلَنَا وَأَهْلَنَا فَاسْتَغْفِرُ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنَّتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا) (الفتح: 11) كانوا يظنون أن الرسول ومن قاتل معه سيموتون في الغزوات، والله يقول لهم: (بَلْ ظَنَّتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبْدًا وَزُبِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَّ السُّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) (الفتح: 12) كانوا يسألون ما إذا كان هناك غنائم حتى يذهبوا ويأخذوا منها، فقال الله عنهم: (سَيَقُولُ الْمُخْلَفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا تَرُونَا نَتَّعِكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّعِنُوا كَذِلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ فَسَيَقُولُونَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا) (الفتح: 15)

ثم وعدهم الله بالأجر العظيم إنهم صدقوا وقاتلوا وبالعذاب الأليم إن تخلفوا، فقال: (قُلْ لِلْمُخْلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأُسْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ إِنْ تُطِيعُوْنَا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا إِنْ تَنَوَّلُوْنَا كَمَا تَوَلَّتُمْ مِنْ قَبْلِ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (الفتح: 16)

كما هو حال المنافقين والمثبطين اليوم، اختلفت الأزمان والأسماء وتشابهت الأفعال. ويكفي المثبطين أن الله كرههم وكره أفعالهم وقتالهم فأقعدهم وخلفهم مع النساء والأطفال والمرضى، قال تعالى: (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعْدَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرَهَ اللَّهُ أَبْيَانَهُمْ فَنَبَطَّهُمْ وَقَيْلَ اقْعُدُوا مَعَ الْفَاعِدِينَ) (النور: 46)

ومن أسباب تثبيط الله لهم أنهم ضرر على المجاهدين وأصحاب فتنه وتخذيل، قال تعالى: (لَوْ خَرَجُوا فِيْكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وَضْعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيْكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ بِالظَّالِمِينَ) (النور: 47)

المصادر: